بسمه تعالى

- **(التشكيك في نسبة نهج البلاغة).**

يتناول هذا الدرس قضية التشكيك في نسبة كتاب نهج البلاغة إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ويهدف إلى ترسيخ قناعة علمية لدى الطالب بصحة هذه النسبة، والرد على شبهة الإضافات التي قيل إنها أُلحقت بالكتاب.

أولاً: أسباب التشكيك:

يرجع أصل التشكيك إلى أن الشريف الرضي، جامع نهج البلاغة، لم يذكر صراحةً مصادره في مقدمة الكتاب، مما دفع بعض العلماء إلى الزعم بأن الكتاب من وضع الرضي أو أخيه الشريف المرتضى، أو أن بعض ما فيه ليس من كلام الإمام علي عليه السلام. ويُعد ابن خلكان أول من أثار هذا الشك، ثم تبعه آخرون مثل ابن تيمية، والذهبي، والصفدي، وغيرهم، وصولاً إلى بعض الباحثين المعاصرين.

ثانياً: الرد على التشكيك في جامع النهج:

يؤكد الدرس أن جامع نهج البلاغة هو الشريف الرضي وحده، وذلك بدليل:

١- اتفاق المحققين والمؤرخين على ذلك.

٢- تواتر الإجازات والروايات عن تلامذة الرضي ومن بعدهم.

٣- تصريح الشريف الرضي نفسه في كتاب خصائص الأئمة بأنه هو من جمع المختار من كلام الإمام علي وسماه نهج البلاغة.

حيث يقول فيه:

"ابتدأت تأليف كتاب (خصائص الأئمّة) عليهم السلام... وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، ومتشعّبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب. ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة".

كما يُطرح تساؤل منطقي: لو كان الرضي هو مؤلف الكتاب، فعنا تساؤلات منطقية:

لماذا لم ينسبه إلى نفسه مع ما في ذلك من فخر ومكانة أدبية؟

ما الداعي لأن يُخفي ذلك؟

لماذا لم ينسب الكتاب إلى نفسه رغم أنّه لو ادّعى ذلك لاعتُبِر الرضيّ من الرجال الأفذاذ ولكان ذلك مفخرةً وزيناً له؟

ومن المفيد جدّاً أن نذكر هنا ما قاله الأمير (شكيب أرسلان) عندما سُئل عن رأيه فيما ذكره أحد الجالسين في محضره من أنّ نهج البلاغة موضوع على لسان الإمام عليّ عليه السلام حيث قال: إذا كان نهج البلاغة موضوعاً فمن هو واضعه؟ هل هو الشريف الرضيّ؟ فقالوا له: نعم.

فقال: إنّ الشريف الرّضي لو قُسِّم أربعين رجلاً ما استطاع أن يأتي بخطبةٍ واحدة قصيرة من خطب نهج البلاغة، أو جملةٍ من جمله، ونهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام دون شكٍّ أو ريب، ولكنّ الّذي أوجب الشكّ فيه اشتماله على القدح في الصّحابة الّذين هم مقدّسون في أنظار الناس.

ثالثاً: إثبات أن محتوى النهج من كلام الإمام علي.

إنّ ما تضمّنه كتاب **نهج البلاغة** هو من كلام الإمام عليّ عليه السلام، وأنّ الشريف الرضيّ لم يؤلّفه بل **جمعه** من تراث كان معروفاً ومتداولاً قبل ولادته بزمن طويل. ويُستدلّ على ذلك بعدة أمور:

١- **السبق التاريخي**: خطب الإمام عليّ (عليه السلام) ورسائله ومواعظه كانت محلّ عناية العلماء والأدباء والمتكلّمين قبل عصر الشريف الرضيّ، وقد جُمعت في عشرات الكتب لمؤلفين توفّوا قبل ولادته بأكثر من مائة سنة.

٢- **الحفظ والتداول** :كثير من كبار الأدباء والعلماء، مثل الحسن البصري وعبد الحميد الكاتب وابن نباتة وابن المقفّع، كانوا يحفظون كلام الإمام عليّ (عليه السلام) ويستشهدون به في نتاجهم الأدبي.

٣- **كثرة الخطب المشهورة** :خُطب الإمام عليّ المتداولة بين الناس بلغت أكثر من أربعمائة خطبة، كما نصّ على ذلك مؤرخون كبار كاليعقوبي والمسعودي، مما يدلّ على شيوعها وانتشارها قبل جمع النهج.

٤- **وحدة الأسلوب البلاغي** :يبيّن ابن أبي الحديد أنّ نهج البلاغة يتميّز بوحدة الأسلوب والنَّفَس البلاغي، بحيث يظهر ككلام واحد متجانس، وهو دليل على أصالته، إذ إنّ الذوق البلاغي يميّز بين الكلام الأصيل والمنحول.

٥- **بطلان دعوى الانتحال** :لو كان بعض النهج منحولاً وبعضه صحيحاً، لما ظهر هذا التناسق التام في الأسلوب والمعنى، تماماً كما يُعرف الشعر المنحول من الأصيل.

الخلاصة:

نهج البلاغة كتاب جمعه الشريف الرضيّ من تراث ثابت ومشهور للإمام عليّ عليه السلام، وتؤكّد صحّة نسبته الشواهد التاريخية، والتواتر، ووحدة الأسلوب، بينما يعود التشكيك فيه إلى دوافع مذهبية لا إلى أدلّة علمية.

رابعاً: الدافع الحقيقي للتشكيك.

بعد النظر والتدقيق والتأمل في دعوى المشككين نجد أن الدافع الأساس للتشكيك ليس علمياً، فنحن لو حاولنا التأمّل بدقّة وبعين البصيرة والإنصاف لوجدنا أنّ الباعث لهؤلاء على إنكار نهج البلاغة كلّه أو بعضه إنّما هو اشتماله على ما يعدّونه قدحاً في الصّحابة المقدَّسين عن كلِّ قدحٍ كالّذي اشتملت عليه الخطبة الشقشقيّة وغيرها، واشتماله على ما يظهر منه التألّم ممّن تقدّمه في الخلافة وإظهار أنّه أحقّ بها منهم.

خامساً: شبهة الإضافات في نهج البلاغة.

شبهة القول بوجود زيادات أُدخلت على النهج بعد وفاة الشريف الرضي، وردّ عليها بعدة أدلة، منها:

١- وجود نسخة بخط الرضي كانت معروفة في زمن ابن أبي الحديد وميثم البحراني، ولم تُشر إلى أي زيادات.

٢- تواتر رواية النهج من طرق متعددة.

٣- تطابق محتوى النسخ الخطية القديمة رغم اختلاف تواريخها.

٤- استحالة تواطؤ النُّسّاخ والشرّاح عبر العصور والمذاهب على الإضافة والتحريف.

كما يوضح أن اختلاف ترتيب بعض الخطب بين النسخ لا يقدح في صحة الكتاب، لأنه ناتج عن أخطاء نسخ لا عن زيادة أو نقصان في النص.

الخلاصة

يخلص الدرس إلى أن نهج البلاغة كتاب ثابت النسبة إلى الإمام علي عليه السلام، جمعه الشريف الرضي من مصادر سابقة موثوقة، وأن دعاوى التشكيك والإضافات لا تقوم على دليل علمي معتبر، بل تدحضها الشواهد التاريخية، والتواتر، ووحدة الأسلوب البلاغي الفريد للكتاب.